نهدي هذا الكتاب المقدس وهو كنز
حياة القديس مار دودو
الى الوجيه السيد الياس باسيل زوري
من اهل اسفس الكرام في مدينة بيشكم
تاريخ ١١ - ٤ - ١٩٨٣

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Ex Libris
Beth Mardutho Library
The Malphono George Anton Kiraz Collection

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

Hagiography: Saints (by ABC)
Beth Mardutho Library

قداسة الحبر الأعظم مار اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى

وقد أذن بطبع هذا الكتاب بتاريخ ١٨ / ١١ / ١٩٧٦

نيافة الحبر الجليل مار اسطاثاوس قرياقس السامي الاحترام

مطران الجزيرة والفرات

كنيسة مار دودو في اسفس ، جبل الطور

المقدمة

القديس المعظم مار دودو ، رغم شهرته في منطقتي بيت زبدى ، وطور عبدين الا ان سيرة حياته ، كانت مجهولة لدى الكثيرين من ابناء المنطقة . لذا طلب مني بعض المؤمنين الحريصين على مصلحة الكنيسة ، ان استخلص قصته من خلال صلوات الفرض السريانية ، فبذلتُ جهدي وجمعت ما استطعت من اخباره من مخطوط سرياني خاص بكنيسة القديس مار دودو .

ثم اضفت الى سيرة القديس مار دودو ، سيرة الشهيد المعظم مار باسوس واخته شوشان اللذين استشهدا في الوادي بجوار اسفس . وسيرة القديسة اشموني التي كان لها كنيسة في اسفس وازخ ، وكنيسة المالكية حالياً هي مكرمة على اسمها وليصبح كتيباً صغيراً جزيل الفائدة للكنيسة المقدسة . لانه لا يخفى على احد كم هو مفيد ونافع للأنسان المؤمن استطلاعه اخبار القديسين وبالاولى القديسين الذين عاشوا في وطنه وعلى ارضه ، وبما ان القديسين ، وخاصة الاساقفة ، هم خلفاء رسل الرب حقاً ، فمطالعة سيرتهم تعني مشاركتهم في آلامهم وفي صبرهم وعزائهم ، وبالتالي التتبع لآثار المخلص بقوة اشد ، وبعزيمة امتن اسوة بهم .

وإني إد اقدم عملي هذا المتواضع للكنيسة ، انما اقدمه للرب يسوع الذي هو رب الكنيسة الممجد في قديسه ، والذي قال بفمه الاقدس : « الحق الحق اقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني ، والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني » (يوحنا ١٣ : ٢٠) راجياً ان يجعل هذه النبُذ بركة في البيوت التي ستتلى او ستدخر فيها . بجاه آلامه المحيية ، وامه المباركة ، وقديسيه الاماجد ، آمين .

افرام شاهين

القديس المعظم (مار دودو)

بلدته : كان يسكن في قرية سيدوس التابعة قديماً للبصرة (العراق) وكان والداه على درجة كبيرة من الغنى ، مشهورين بالايمان والتقوى والمحبة ، وكانا ملجأ للبائس والمحتاج ولا سيما للغريب ، يوزعان الكثير من اموالهما في عمل البر على الديورة والايتـــام والارامل وما اليها من مشاريع خيرية .

ميلاده : والشيء الوحيد الذي كان يعكر صفـــو والديه (شمعون وهيلانة) كونهما محرومين من الذرية والنسل فأخذ اليأس يتسلل الى قلبيهما وهما ينظران الى نفسيهما وقد طعنا في السن . ولكن ايمانهما القوي دفعهما الى التوجـــه الى مدينة قصية هي مدينة تبريز قرب بحيرة اورميا (ايران) قصد الالتجاء الى احد اديرتها القريبة من الجبـل المدعو جبـل تبريز ، وكان رئيس الدير يدعى مار داود . وفي ذلك الدير البعيد كل البعد عن قريتهما سكبا قلبيهما امام الله الآب طالبين بحـرارة وخشوع كما التمسا من رئيس الدير ايضاً ان يشاركهما في الصلاة فلبى الرئيس طلبتهما ورفـع صـلاة خشوعية باسم الرب يسوع الى ابيه الاقدس . ثم ودعا الدير ورئيسه بعد ان وفيا نذرهما وقدما ما تيسر من الحسنات للدير وللفقراء وعادا الى قريتهما سيدوس ولسانهـما يلهج بالشكر وآمالهما وطيدة بالله تعالى مسلمين ارادتهما الكاملة لله عز رجل . وبعد عودتهما وحسب المدة المقررة منه تعالى رزقهما المولى طفلاً على غاية من الجمال وذلك عام (٥٣٠) م. وكم كانت فرحتهما كبرى لا بل فرحة جميع الاهل معهما فقد استقبلوا طفلهما هذا كملاك من الله تعالى عز وجل وجاءت معه البهجة والفرحـــة فأمتلأ المنزل فرحـــاً وغبطة وشدهما برباط الحب المقدس فتحول يأسهما الى رجاء وشقاؤهما الى سعادة .

عماد الطفل : بعد فترة قصيرة من ميلاد الطفل قام والداه وحمـــلا وحيدهما وعزيزهما وتوجها صحبة مجموعة من الاقارب الى ديرهما القريب من جبل تبريز وذلك تعبيراً عن شكرهما لله تعالى . وهنالك وعلى يد مار داود رئيس الدير المذكـور نال الطفل سر العماد المقدس ودعي اسمه (داؤد) ومن يستطيـع ان يصف الفرحة الكبرى الـــتي

صارت في الدير وخاصة في الحفلة الكبرى التي اقامها والد الطفل في هذه المناسبة . فالرئيس والرهبان مع الاهل والزوار ، الجميع رفعوا تسبحة المجد والشكر باسم الرب يسوع لابيه ابي الانوار الذي منه تهبط كل موهبة صالحة ، لاستجابته دعاءهما كما طلبوا من المولى ان يحفظه ثمرة صالحة مفيدة لوالديه وللانسانية جمعاء . ثم قام الوالد بوفاء نذوره بسجود وتواضع وفرح . وبعد أن تزوّدا من بركة الدير والرئيس والرهبان ودّعا راجعين الى وطنهما وقريتهما سيدوس ثم اخذا في التعهد والعناية بالصبي الذي جاء ثمرة الاصوام والنذور والانتظار سنوات ، والذي منحهم الله اياه كما منح صاموئيل لحنة لكنهما اطلقا عليه اسم دودو وهي كلمة سريانية تعني عزيز، حبيب ، عم (هناك من يقول القديس مار دودو وسمى نفسه بهذه التسمية مشبهاً نفسه بدودة لكثرة تواضعه)

نشأته وثقافته : ولما صار له من العمر خمس سنوات ادخله اهله المدرسة حيث بدأ يتلقى مبادىء العلوم . وكان وهو يتلقى علومه ، مثالاً للفضائل السامية والسلوك الحسن وكانت علامات النجابة والقداسة بادية عليه حتى ادرك كل رفاقه وزملائه في المدرسة ان الله تعالى قد اختاره كما اختار النبي ارميا من البطن . وكان متفوقاً على رفاقه ولا سيما في التعاليم المسيحية الاولية وفي ممارسة الطقوس الكنسية والمواظبة على العبادة وتناول الاسرار المقدسة . وعند بلوغه سن الشباب كان هدف والديه الوحيد التعجيل في عقد قرانه على فتاة تتناسب ومقامه لكي يفرحا به أسوة بغيرهما من سكان هذه الدنيا . لكنه ابى ان يُربط بشباك هذا العالم الفاني لان قلبه الصغير كان قد ألهب بمحبة ربه يسوع ولم يكن ليستوعب شيئاً آخر . فكان لا يشاهد الا وهو يطالع الكتاب المقدس متأملاً في معانيه القيّمة متطلعاً الى غيرته الصادقة ، اخيراً ادركت المنية والديه ففارقا الحياة وانتقلا الى ربهما دون ان تتحقق لهما امنيتهما هذه ولسنا نعلم شيئاً عن اسباب وفاة والديه والذي نستخلصه هو ان وفاتهما كانت دون أي ريب حسب مشيئته تعالى ليفسح المجال امام ابنهما الشاب ليتدرج في طريق الكمال بخطى اكثر ثباتاً وبدون عائق .

زهده في الدنيا وترهبه : بعد وفاة والديه قام الشاب دودو بتوزيع كل ما لديه من مال وممتلكات ونقود وآثاث على الاديرة والمساكين وذلك عملاً بقول الرب يسوع : اذا اردت ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل ما لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » . ثم انه لم يتوانَ ولم ينظر ولا نظر الى الوراء لكنه بعد ان

صلى صلاته الخشوعية الحارة قام متمشياً بخطى ثابتة ومتجهاً نحو الدير الذي اقتبل فيه سرّ العماد المقدس فاستقبله رئيس الدير بفرح وغبطة وهنالك وعلى يد مار داود المذكور في الدير الذي بالقرب من مدينة تبريز نـذر النذور الرهبانية الاولى وارتدى اسكيم الرهبانية المقدس وانضم الى سلك الرهبان جنود الرب يسوع محافظاً على اسمه المتواضع دودو . ومنذ اللحظة الاولى من دخوله الدير كانت تتجسد فيه صفات الراهب المنتخب وهي العفة والفقر الاختياري والطاعة والتواضع والمحبة والحلم والصبر والبشاشة فكان موضوع دهشة واعجاب للرئيس وللاخوة الرهبان .

انقطاعه على جبل تبريز : بعد وفاة رئيس الدير مار داود يبدو ان حياة الدير لم ترق في عيني الراهب الشاب (دودو) لانـــه رآها حيـاة عادية سهلة لذلك قرر الخروج من الدير والاقتداء ببعض القديسين الذين انقطعوا في المغاور والكهوف او على رؤوس العواميد التي ابتنوها لانفسهم او على قمم الجبال العالية . وذكر انه صنع لنفسه قميصاً هو عبارة عن مسح حديدي لارهاق نفسه وللامعان في تعذيبها . وهكذا فانـه غادر الدير واعتزل على جبل تبريز وحيداً فريداً شريداً ، اعلنها حرباً شعواء على الجسد وميوله ورغباته مدة اثنتي عشرة سنة قضاها على ذلك الجبل ، فراشه الارض ولحافه السماء . وأي قلم يستطيع وصف ما قاساه في حـر الصيف وزمهرير الشتاء وما تحمّله من الجوع والعطش ومن اهوال الحشرات والدبابيب الضارة وفـزع الحيوانات المفترسة ومن رهبة الرؤى والمناظر الليلية المخيفة والمرعبة ، مجهولاً مـــن العالم والعالم مجهول منه ، اراد ان يموت عن العالم ليحيا مع المسيـح ، أحب ان ينسى العالم كلياً ليعرفه المسيح الرب فقط . انها اعمال جبارة تذهل الانسان المتأمل وهي فوق طاقة الانسان. كل هذه المدة قضاها وهـو يقتات بالاعشاب والفواكه والثمار وجذور بعض النباتات التي يستجمعها بصعوبة ومشقة .

مكافأة المولى : الله تعالى الذي هو الاب الحقيـقي للبشر والذي لا ينسى عبيده الامناء نظر الى بؤسه وشقائه المرعبة صارت ملائكة الله تأتي الى لقائه وسلامه . وعلى مثال ما حدث للقديس المعظم مار قومي هكذا فانه عزّ وجلّ ارسل اليه مع ملائكة النور مائدة مفعمة بالحياة ، طعاماً روحانياً مكسياً حياة ونعمة . فتناولها القديس مار دودو واكل منها وتغذى بها نفساً وجسداً شاكراً إلهه ومولاه الذي تحنن عليه ولم

ينساه . فطوبى ثم طوبى لمن استحق التناول من مثل تلك المائدة السماية لانه يجد نفسه في غمرة السعادة ورفيقاً الملائكة .

العودة الى الدير : ثم اتفق ان رئيس الدير الذي فارقه مار دودو ، قد شاهد رؤيا سماوية يعلن له فيها عن مكان القديس مار دودو وعند الصباح هبّ مذعوراً فأخذ معه جوقة من الرهبان وحيث ما جاء في صلاة الفرض أخذوا معهم مبخرة وجرساً ثم توجّهوا نحو جبل تبريز للبحث عن القديس . وبعد عناء ومشقة تمّ اللقاء بين الاخوة على الجبل واستقبل القديسُ اخوته الحقيقيون بالقبلات والدموع وعانقوه الواحد تلو الآخر وعيونهم تكاد تتفجر بالدموع وهم يتأملون الحالة التي هو فيها وما اصاب جسمه من التجعد والضعف وهو هنالك في عراكه مع الطبيعة القاسية . أخيراً ارغموه على النزول معهم . فلبى طلبهم طائعاً ثم عادوا الى الدير وصلوا صلاة الشكر لله الذي فرحهم بعودة أخيهم الذي كانوا يظنونه في عداد الاموات فعاد اليهم معافى .

زيارة الاماكن المقدسة : غادر مار دودو ديره ثانية قاصداً فلسطين فانطلق مشياً على القدمين مواصلاً السير وهو مندفع بقوة الايمان والرجاء وبغيرة رسولية وشوق لا يوصف حتى اذا وصل اليها سجد مقبلاً الارض مراراً عديدة منشداً تسابيح الشكر . ثم تبرّك من زيارة الاماكن المقدسة : المغارة وقبر الخلاص وعلية الاسرار (دعيت بهذا الاسم لان الرب يسوع له المجد اكمل فيها العشاء السري مع تلاميذه) حالياً تعرف بكنيسة مار مرقس لانها دار القديس مرقس الانجيلي البشير وهي خاصة بالسريان الارثوذكس ، كما تبرك ايضاً من طريق الآلام وبقية الاماكن المقدسة التي سار عليها الرب يسوع وامه المباركة ورسله الاطهار وانبياؤه القديسون . ثم واصل سيره نحو برية اسقيطي (مصر) حيث تبرك من الآباء العباد ومن اديرتهم المقدسة وما تضمه من ذخائر القديسين وعاد اخيراً لكن لا الى ديره الذي عند تبريز بل الى واد هو من اصعب الاودية في العالم والذي اطلق عليه بحق اسم وادي جهنم .

قرية اسفس ووادي جهنم : وبعض الاماكن التي انقطع اليها القديس للعبادة: اسفس قرية جميلة كانت قديماً تسمى (المدينة الشرقية) وهي تقع شمال غربي ايدل (آزخ - بيت زبدى) وتبعد عنها مسافة ٧ كم تقريباً تطل على الطرف الجنوبي لوادي

جهنم القادم من جهة جبل العلم ماراً شرقي مدو ثم يأخذ تدرجاً بالعمق والتوجه نحو الشمال حتى يصب في نهر الدجلة . وعلى الطرف الشمالي لنهر الدجلة تقابل قرية اسفس قرية فندك . ولمدة سبع سنوات أخذ يتنقل القديس ما بين قرية فندك التي كانت قديماً مركزاً للعباد واسفس ماراً بالوادي آخذاً سيره حتى قريتي تلسقان وكنكي . ويقال ان الماء تدفق من الصخرة في قرية كنكي بصلاة القديس مار دودو وكانت قبل ذلك محرومة من المياه تعيش على مياه الامطار ، مما ادى الى اعتناق اهلها الديانة المسيحية وانشاء كنيسة فيها . اخيراً استقر القديس مار دودو متخذاً لنفسه مقاماً ثابتاً في اسفل الوادي الذي تطل عليه قرية اسفس ثم التحق به ابن خاله مار اسحق وانضم اليهم اربعون راهباً انشأوا كنيسة جميلة وملحقاتها ولا تزال صومعة القديس مار دودو وآثار بقية المعابد ماثلة حتى اليوم . مع ان هذا الوادي يمر فيه نهر جميل الا انه كان مقرّ اللصوص وقطاع الطرق وبصلوات القديس ورفاقه العباد تحول وادي جهنم الى روضة الجنان . ومغاوره التي كانت مقراً وملجأ لقطاع الطرق ومسكناً للشياطين صارت ملجأ للقديسين ولا تزال حتى اليوم ملجأ للبائس والمصاب بمختلف الامراض يقصدها الانسان مريضاً ثم يعود معافى . والآن السائح الذي يدخل الوادي يشاهد نهراً جميلاً يخترق بساطاً جميلاً من البساتين . من اهم الآثار التي يؤمها الزائر كنيسة مار دودو وصومعته وصومعة مار اسحق في الطرف الآخر من الوادي كما توجد مغارة القديس مار لونكيني الذي عمد فيها الشهيدين المعظمين مار باسوس واخته سوسان . انظر الشكل رقم (١)

البطريرك الانطاكي مار بطرس : جاء في صلوات الفرض للقديس مار دودو ما يلي : ان البطريرك الذي كان جالساً على كرسي انطاكية آنئذ كان يدعى (مار بطرس) وكان بطريركاً قديساً يضاهي تلاميذ ربنا يسوع له المجد في كثرة المعجزات التي كان يجريها تعالى على يديه ، منها أنه اسوة بالقديس بطرس الرسول وهامة الرسل كان اذا مشى في الشارع وسقط ظله على المريض المنتظر مروره ابرأه بقوة الله تعالى . كما ذكر

ايضاً ان اصابعه كانت تشع نوراً مدى الحياة فاذا الامس مصباح الكنيسة (القنديل) أضاء وتشعشع بالنور بقدرة الهه خالق الامجاد والنور. وحدث ان مطران بلدة تكريت الواقعة على طريق بغداد ـ الموصل في الجمهورية العراقية ، توفي وبقيت المدينة دون رئيس روحي مرشد . وبينما كان البطريرك القديس يرفع صلواته الحارة طالباً من

المولى ان يرشده الى اختيار الشخص المناسب اوحي اليه برؤية سماوية عجيبة بأنه لا يليق لهذه الدرجة السامية سوى الراهب (مار دودو) المقيم في ديره الذي في وادي جهنم بالقرب من قرية اسفس التابعة (لبيت زبدى) فشكر البطريرك العزة الالهية ثم أخذ في اعداد العدة .

مار دودو الاسقف : وفي عام ٥٨٩ م. قام البطريرك القديس في جولة خاصة من مقره في بلدة انطاكية المعظمة متجهاً نحو ابرشيته الشرقية ثم طلب فحضر اليه الراهب العابد (مار دودو) الذي كان له من العمر آنئذ ٦٠ عاماً ثم عرض عليه اقتراحه قائلاً : يا بني ان الروح القدس يدعوك الى الخروج من وادي جهنم الى رعاية الآلاف من خرافه الناطقة في بلدة تكريت ، فرفض الراهب مار دودو اوامر سيده هرباً من المسؤوليات الجسام المترتبة على الدرجة الاسقفية ولكنه لما شاهد نفسه مهدداً بعقوبة الحرمان الكنسي القاطع رضي مسلّماً ارادته الى المولى قائلاً : لتكن مشيئتك يا رب . وفي حفلة كنسية رائعة يرفع قداسة البطريرك الراهب دودو الى الدرجة الاسقفية بأسم (مار غريغوريوس) ولم يكتفِ بذلك بل رافقه الى بلدة تكريت الابرشية التي وهبت له من الروح القدس ثم خوّله الرئاسة الاسقفية على تكريت وتوابعها . وكما استقبل حابان التاجر الهندي الرسول المعظم مار توما ، هكذا استقبل اهالي تكريت اسقفهم لا بل اباهم الروحي الساهر على خلاص نفوسهم . ولكن القديس مار دودو وكان لا يزال باكياً لا بسبب المسؤوليات المترتبة على الاسقف فحسب بل لحرمانه ايضاً من حياة الوحدة التي كان يهنأ بها رغم التقشف الصارم الذي كان يفرضه على نفسه .

اهم اعمال القديس مار دودو ثم وفاته : جاء في صلوات الفرض ان القديس مار دودو رسم (١٣٠٠) الف وثلاثمائة كاهناً و (١٧٠٠) الف وسبعمائة شماساً وذكر ايضاً انه عمر كنيسة في وادي جهنم يتبعها معابد وصوامع رهبانه الاربعين . فاذا كان قد رسم (١٣٠٠) كاهناً كم يكون يا ترى عدد الكنائس والاديرة التي تمّ تشييدها في بلدة تكريت وتوابعها خلال مدة حبريته التي دامت عشرين عاماً ؟ وفي عام ٩٢٠ يوناني اي ٦٠٩ م. استراح القديس المعظم من اتعابه التي لا يمكن ان تحدّ . وبالاختصار فانه خلال مدة حياته التي دامت ٨٠ عاماً ومنذ اللحظة التي نذر

فيها النذور الرهبانية بدأ يطبّق على نفسه اقصى الانظمة بحيث انه طوال حياته لم يشبع طعاماً ولم يهنأ في رقاد ولا اعطى جسده راحة . وكان هدفه اولاً : حفظ نفسه بحالة القداسة ثم هداية الانفس . وهكذا وبعد ان جاهد الجهاد الحسن واكمل السعي نقله اليه الرب يسوع ليكله باكليل البر اكليل المجد والخلود حيث الراحة الابدية لانه تبارك اسمه قال : بفمه الطاهر : « حيث اكون انا هنالك يكون خادمي» ولما كان يعز على المولى موت خائفيه فبايعاز من الروح القدس حضر الى جنازة القديس (١٨٠٠) كاهناً عدا الاساقفة وجمهور لا يحصى من المؤمنين . ودامت الصلوات على سكينة جسده المقدس اسبوعاً كاملاً وفي كل هذه المدة لم ينقطع سيل المؤمنين العارم ، المتوافدين لالقاء النظرة الاخيرة على قديسهم واسقفهم وابيهم فكانوا يتبركون منه ويودّعونه وعيونهم تذرف دموع الحزن والتوبة .

واخيراً وبصلاة احتفالية مهيبة يوارى جثمان القديس في كاتدرائيته في مدينة تكريت ، المبنية على اسم القديس مار آحو وامه والمسماة بالكنيسة الصفراء . وقد ودّعه الاكليروس والشعب وعيونهم تذرف الدموع الحارة على حرمانهم اسقفهم القديس وابيهم البار ، سائلين وطالبين من المولى ان لا يحرموا شفاعته قائلين : صلواتك معنا يا ابانا وشفيعنا مار دودو .

نقل جثمان القديس مار دودو الى طور عبدين : القديسون هم هياكل الله على الارض والامناء على خزائن اسراره وبالتالي فهم انبياء العهد الجديد . كيف لا وقد تنبأ الكثير منهم عن المستقبل وغوامضه امثال القديس مار يعقوب الملفان الذي تنبأ عن سقوط مدينة ديار بكر « اميد » في يد الاعداء .

ذكر في صلوات الفرض ان القديس مار دودو بعد عشرين سنة من وفاته رأى بعين النبوءة انه قد لا يبقى مسيحي واحد في مدينة (٢) تكريت ، فتراءى لابن خاله مار اسحاق وطلب منه نقل جثمانه الذي كان لا يزال حياً وكأنه نائم طلب نقله الى طور عبدين ، فلبى مار اسحاق الطلب وبرفقة مجموعة من الرهبان نقل جثمان القديس ، فاعترضهم اللصوص الذين صعقوا في اماكنهم . وبعد نيلهم الشفاء نذروا

(٢) ذكر ان تعاليم نسطور ستتغلب على بلاد المشرق .

الرهبنة في دير القديس . وعند وصول الموكب الى قرية باسبرين ، أعاد الله الى الحياة صبياً ميتاً عند وضعه فوق تابوت القديس . وهناك وُري جثمانه الطاهر . وانشأ اهالي باسبرين كنيسة على اسم القديس مار دودو وكانت قافلة القديس قد اجتازت الطريق الآتية : تكريت ـ الموصل ـ زاخو ـ جزيرة ابن عمر ـ ثم الى كنيسة القديس مار دودو التي في اسفل الوادي ، حيث باتت وجرت الصلاة عليه من قبل رهبانه واخوانه .

ويزعم أهالي قرية اسفس ان القديس توفي في كنيسته التي في ارض الوادي وكانت وصيته لرهبانه وابن خاله مار اسحاق ما يلي : ضعوا جسمي على الدابة (بغلة) وحيثما سارت الدابة اتبعوها . ولا تدفنوني الا حيث تربض الدابة . وهذه الوصية طبقها الرهبان بحذافيرها .

ثم وضع جثمان القديس على الدابة التي لم تسلك الطريق العام ، لكنها صعدت عمودياً واتبعها الرهبان بخشوع وهيبة وهم يرتلون التراتيل والمزامير الروحية فسلك الموكب طريقاً لا بل ممراً « ضيقاً » يمكن تسميته بجرف الهاوية لضيقه ولانه يطل على عمق سحيق هو عمق وادي الجحيم ، وفوقه مئات الامتار مُن الصخر العامودي العالي . وشهد الكثيرون أن الارض انشقت لتفتح طريقاً لموكب القديس . وان بعض الصخور تدحرجت فأخرج القديس يديه ووضعهما على الصخرة المتدحرجة ، فثبتت في مكانها ولا تزال آثار اصابع القديس على الصخرة لتبقى شهادة ابدية على عظمة قدرة الله العاملة في قديسه . وبعد اجتياز هذا الممر الضيق والذي يزيد طوله على المائة متر والذي حتى الآن يأخذ الانسان الهيبة عند اجتيازه اياه تصبح الطريق عادية ولكنها صعبة التسلق . وتأخذ مسافة ساعة ونصف مشياً على الاقدام . وفي هذه المسافة التي بين الدير والقرية اعترض اللصوص لقافلة القديس فصعقوا في امكنتهم دون حراك . ثم واصلت القافلة مسيرها حتى وصلت الى قرية اسفس . وكان ذلك وقت دراسة البيادر صيفاً ـ ومعظم الرجال والشبان في بيادرهم . وعند الاستفسار قيل لهم انها جنازة القديس مار دودو واطلعوهم على وصية القديس . ولكن اهالي اسفس ثاروا واحاطوا بالجنازة قائلين لن تمر علينا جنازة قديس وفي صدر واحد منا نسمة من حياة . وحدث عراك شديد بين الرهبان واهالي القرية ، اصيب فيه العديد

منهم بجراح . وفجأة شاهدوا اعجوبة . رأوا يمين القديس مار دودو مرفوعة فوق التابوت . فأخذت الهيبة الجميع واستمرّ كل منهم في مكانه . فدنا احد شيوخ آل اسفس ليتبرك من يمين القديس . فسقطت ذراع القديس اليمنى ، كاملة في يد الشيخ الذي بهت في مكانه فقال لقومه : ان قديسنا قد اعطانا يمينه وهي تكفينا . ثم واصل الموكب سيره حتى قرية باسبرين حيث أعاد الله الى الحياة صبياً ميتاً هو ابن زعيم القرية فتولوا تابوت القديس ووضعوه فوقه الصبي الميت ، وأقامه الله وانتهت المسيرة . وبنى اهالي باسبرين كنيسة على اسم القديس مار دودو تضم ضريحه المقدس وهي باقية الى اليوم . كذلك شيد اهالي قرية اسفس كنيسة على اسمه تضم يمينه المقدسة . والكنيسة باقية الى اليوم .

اعادة رأس القديس مار دودو الى قرية اسفس : وبعد زمان مرّت سنة جدباء مرة قاسية على اهالي باسبرين رأوا فيها انفسهم مهددين بالموت جوعاً من شدة الغلاء ومن قلة الرزق وحرمانه من الاسواق . وبعد عقد شوري فيما بينهم اخرجوا رأس القديس من ضريحه الذي في كنيستهم ، وأتوا به الى قرية اسفس سائلين المعونة باسمه . فتقبل سكان اسفس الهدية ـ كنعمة منه تعالى . وقدّموا لاخوانهم اهالي باسبرين القوت الكافي الذي انقذ حياتهم من موت الهلاك جوعاً وهكذا فان كنيسة مار دودو الحالية تضم رأس القديس ويمينه . والذي يدخل الكنيسة يجد مزار القديس في الجانب الايسر من الكنيسة في الزاوية القريبة من المذبح . ولا تزال المعونات والاشفية تتدفق من ذخائر القديس على جميع الذين يقصدونه بايمان على اختلاف الاديان والملل . انظر الى الصورة . . .

« المعجزات »

المعجزات التي اجراها على يدي القديس والتي اخذت من صلوات الفرض . جاء في صلوات الفرض انه ما من احد يستطيع احصاء المعجزات التي اجراها الله تعالى على يدي القديس المعظم مار دودو . او احصاء المرضى الذين شفاهم ، والمخلعين والضعفاء الذين اعاد اليهم قوتهم والبرص الذين طهرهم والعواقر اللواتي رزقن البنين بقوة صلواته . لقد اقام الله تعالى على يديه ثلاثة اموات فتشبه بالقديس المعظم الاسقف مار كبرئيل

اسقف دير قرطمين . وفيما يلي مجمــــل المعجزات التي جاء ذكرها في صلوات الفرض الخاصة بالقديس مار دودو .

١ - قتلت افعـــى عاملين من عماله في اثناء تشييدهم الكنيسة في وادي جهنم قرب اسفس بغياب القديس . ولدى حضوره ومشاهدة الرجلين ، رفع صـلاته الحارة الى الرب يسوع له المجد ، فخرجت الافعى من مكانهـا ، ثم اعاد الرب الحيـاة الى الرجلين فسبّح الحاضرون بمجد الله .

٢ - بارك (برشانة) خبز التقدمة واعطاها لطفل يجهل القراءة والكتابة ففتح الله بصيرته وانار ذهنه وتعلم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

٣ - لعن كاهناً من اربل فاهلكه لانه لم يُقلع عن اعماله الشريره .

٤ - امرأة من مدينة سيروان نالت الشفـاء من داء البرص فاقتبلت العماد هي وزوجها مع سكان المدينة .

٥ - شماس من قرية كرمليس كان يمارس فعل الزنا القبيـــح . واذ تمرد على انذار القديس انزل الله عليه ناراً من السماء فاحرقته .

٦ - اعمى في كنيسة تكريت بينما كان القديس مار دودو يغسل يـديه دنا منه الرجل الاعمى فنثر القديس الماء في وجهه فانفتحت عيناه واصبح دهشاً للشعب الذي يمجد الله .

٧ - احد زعماء تلك البلاد (قضاء تكريت) كان مصاباً بداء السرطان القاتل في رأسه فختمه القديس بختم الصليب المقدس فشفي ثم اهتدى الى الايمان .

٨ - رجل ابرص من قـــرية برطلي جاء اليه مستغيثاً فمنحـــه الله الشفـاء بصلوات القديس .

٩ - زاره رجل كان مخلعـــاً منذ اكثر من عشرين سنة فشفاه الرب يسوع بصلوات القديس .

١٠ ـ نال على يده الشفاء اطرش من قرية باخود يدا .

١١ ـ طفل كان يشكو من قرحة في بطنه فنال الشفاء بطلبة القديس .

١٢ ـ بصلواته رزقت امرأة عاقرة بنين .

١٣ ـ اللصوص الذين تعرضوا لرهبانه في اثناء نقلهم جنازته وحاولوا قتل الرهبان

صعقهم الله تعالى فتخلعت ارجلهم وييبست ايديهم فاستغاثوا بالرهبان وهم مولولون . وبعد نيلهم الشفاء تابوا ونذروا الرهبنة واقاموا في ديره الذي في الوادي حتى الممات .

١٤ ـ اعاد الله تعالى الى الحياة الصبي الذي وضع على جثمان القديس في قرية باسبرين .

١٥ ـ صرخ الشيطان وهو يولول لدى خروجه من احد الرجال المصابين بالجنون لدى دنوه من قبر القديس . هذا المجنون كان يرجم الناس بالحجارة في قرية باسبرين صرخ ابليس قائلاً : الويل لي منك يا مار دودو السيدوسي . اتطردني ؟

١٦ ـ آخر كان معذباً بداء الانحباس (البول) نال الشفاء عند اقترابه من قبر القديس وتبركه منه .

١٧ ـ الذي كان وجهه الى الوراء عند تبركه من ضريح القديس نال الشفاء فسبح ممجداً الله شافيه كان ايضاً من اهالي باسبرين .

١٨ ـ آخر كان مصاباً بداء عضال في رأسه (من اهالي باسبرين) نال الشفاء لدى التجائه الى مزار القديس .

بعض المعجزات التي اجراها الله تعالى على يد القديس مار دودو في عصرنا الحاضر

١ ـ معجزة معبد ، القديس مار دودو :

احد الشبان المسيحيين السريان من قرية (مدو) بعد نهاية الحرب العالمية الاولى اضطر لفقره ان يسكن هو وامه واخته الصغيرة (١٣ سنة) في قرية كفشنه عند مختار

القرية المسمى (مراد كي دين) وفي احـــد الايام بينما كان يلعب الشاب المذكور بالبارودة في غرفة المختار هو ومجموعة من شبان القرية ، قتـــل بطريقة الصدفة ابن المختار الذي كان في حضن امه . ولكن ام الولد القتيل لم تسمح بقتل الشاب المسيحي وكذلك زوجها الذي كان غائباً في اثناء الحادث ، لم يوافق على قتله قائلاً بصراحـــة « اذا قتلته كيف استطيع مواجهة آل آزخ » لكن اهل القرية وجميعهم اكراد ومن اقرباء المختار ارغموا الشاب ان يزوج اختـــه من اخي المختار حسن الذي كان بعين واحدة (اعور) بيد ان الفتاة بعد ان رزقت صبياً ودعوا اسمه مراد ، تركته وهربت الى اسفس ثم الى آزخ ومنها الى البلاد المقدسة (فلسطين) .

ولما كبر الولد (مراد) جاء وسكن في اسفس . ولما صار شاباً صار كردياً (ديناً) واطلق لحيته وتصوف . واعتاد يومـاً من ايام الصيف ، الذهـاب الى معبد القديس مار دودو والتي في اسفل الوادي . راجع الشكل رقـم (١) وقد نصحه الكثيرون من اهله الاكراد ليمتنع عن ذلك ولكن بدون جدوى فاقتص الله تعالى منه فأماته . ثم اطبقت الصخرة الكبيرة التي كانت تغطـي سطح ايوان الكنيسة الـتي في اسفل المعبد تلقائياً على باب المعبد لئلا ينجس فيما بعد . هذه المعجزة ادهشت اهـالي المنطقة ، وهي تشاهـــد حقيقي على معجزة اجتياز موكب القديس (طريق جرف الهاوية) فسبحان الذي ليس عليه شيء عسير .

٢ ـ المرحوم حنا المقسي

هو ابن المقدسي عبدالمسيـح احد وجهاء آزخ المشهورين المعروف (حنا المقسي) يذهب الى ماردين هو واخو زوجته المعروف بـ (كبرو آدو) ومعهم عـدة اشخاص من وجهاء بلدتهم آزخ ذهبوا في مهمة حكومية لمصلحة آزخ التي كانت ناحية وتحولت الي قضاء (قائمقامية) وفي ماردين يصاب السيد حنا المقسي بمرض عضال فيتصل هؤلاء بوالي ماردين الذي يجمع عليه لجنة اطباء فيقررون انه شلل عام لا شفاء له . وقـد نصحه البعض بالذهاب الى عينتاب الى المشفى الامريكاني . ولما همّ السيد كبرو آدو المذكور في اخذه الى عينتاب « رفض المريض قائلاً « خذوني الى مار دودو » فأجابه كبرو آدو وهو من اقاربه اللازم واخو زوجته قائلاً : « هل مار دودو هو احسن من المستشفى الامريكاني يا حنا » فكان جواب السيد حنا المقسي قائلاً : « اذا اخذني

الى عينتاب واصابني شيء اخبروا اولادي كي يأخذوا ثأري من كبرو آدو » .

ثم اعادوه مربوطاً على الدابة الى آزخ ومنها اخذوه الى دير القـديس مار دودو في اسفس وكان يرافقه موكب لا يقل عـن اربعين شخصاً . فبات تلك الليلة امـام ضريح القديس . ثم عاد صباحاً مشياً على القدمين من اسفس الى آزخ . وتستغرق المسافة ساعة ونصف مشياً على الاقدام . الامر الذي ادهش الجميع فسبحوا الله الذي يصنع المعجزات باسم قديسيه .

اما كبرو آدو الذي لغيظه لم يرافق الموكب بقي في آزخ ينتظر عودة الموكب كي يشمت بهم . فلما شاهـد صهره السيد حنا المقسي الذي كان بالامس كتلة من اللحـم ضخمة لا حراك لها ، وهو في مقدمة الموكب ، خاف وتولاه الرعب ، فانطلـق لتوه الى دير القديس مار دودو ، طالباً السماح معترفاً بقلة ايمانه قائلاً قوله الشهير « ارجوك يا مار دودو ان تسامحني ، ولا تجعل عقلك مثل عقلي » تمت هذه المعجزة عام ١٩٣٧

٣ ـ الصبي (جوزيف بن كبرو حـدي حنا) من اهـالي اسفس المقيمين في المالكية ، صار له من العمر سبع سنوات وهو لا يذوق طعاماً سوى الحليب ، اخذه والده قاصداً دير القديس مار دودو في اسفس وبعد تبركه من زيارة الدير مجـد الله تعالى اذ شاهد ابنه يتناول الطعام مع امه كالعادة . فعاد الى بلدته المالكية مخبراً بمـا صنع الله معه . راجع المجلة البطريركية العدد ١٩٧٦ التي اعلنت هذا النبأ .

المصادر

اخذت هذه المصادر عن مخطوط سرياني قديم يعود تاريخـه الى عام ١٧٨١ م. كتبه الراهب شمعون بن رومانوس الباسبريني راجـع الصفحة ٤٢٦ و ٤٢٧ والمخطوط يحتوي على صلوات و « حسابات» للاعياد الرئيسية ولو الله والقديسين ، كتبه لكنيسة القديس مار دودو التي في قرية اسفس .

مار دودو الصفحة ٨١ ولكن حسب تاريخ ابن العبري الخـاص بالاسـاقفة والبطاركة ، وجدنا الاسقف الذي توفي عام ٦٠٩ م. هو الاسقف العلامة قام يشوع، وعليه يكون اسم القديس مار دودو الاسقفي حسب رواية ابن العبري : قام يشوع ،

وحسب صلوات الفرض ، مار اغناطيوس مار دودو . واعتبرنا رواية ابن العبري هي الاصح . اما البطريرك الذي رسمه اسقفاً فهو البطريرك بطرس الثاني القليوني .

مار باسوس عن الصفحة ١٢٩

القديسة شمونة عن الصفحة ٢٧٥

هذا وارجو الصفح عن التقصيرات اللغوية التي يصادفها القارىء اللبيب ، لان لله العزة وله وحده الكمال ، له مجدونا وسبحنا الى الابد ، آمين .

افرام شاهين

الكومندور سامي القدسي وهو مقيم في البرازيل
وأصله من سكان اسفس وهو مدعم المجلة خيرياً

المقدمة

القديس الشهيد مار باسوس واخته شوشان

جرت حوادث هذه القصة في الربع الاخير من القرن الرابع الميلادي . وباسوس ومعناهُ زهرة ، وشوشان تعني سوسنة ، اخ واخـــت امير واميرة ، احبهما الرب يسوع فقطفهما من الحقل الارضي ليغرسهما في الحقل السماوي ، فصار باسوس كوكباً سماوياً نيّراً ، وغدت سوسان جوهرة متلألئة في تاج الملك السماوي « وانا ممجد فيهم . يوحنا ١٧ : ١٠ » .

ومن تاريخ استشهادهما حتى يومنا هذا ، جعلهما رب المجد ينبوعاً تتدفق منه المعونات لكافة المؤمنين ، حتى الامس القريب ، وفي قرية صغيرة تدعى حكمية ، تقع على مسافة عشرة كيلومترات تقريباً شمال شرق المالكية . الشهيدة المعظمة الاميرة السماوية شوشن ، تتجلى للكثيرين من المؤمنين سكان القرية المذكورة ، طالبة ان يجددوا بناء كنيستها الذي كانوا يشاهدون فيه الانوار المتلألئة ، والذي آثاره كانت

مندثرة كلياً ، فلبى المؤمنون الطلب واقاموا بيتاً صغيراً في المكان المعين ، كرسوه للعبادة على اسمها « الذي غدا مزاراً للمؤمنين من كل جهة ، وحتى غير المسيحيين صاروا يحترمونه لما شاهدوه من الحوادث الخارقة التي حلت بالذين لم يتجنبوا احترام المزار قبل بنائه .

ومن الزوار الكثيرين الذين نالوا مقاصـــدهم بواسطة شفاعة الشهيدة المعظمة « شوشن » زوجة السيد وديع حنا اسطيفو التي يئست ان تنال مولوداً عن طريق الاطباء ، واستجاب الله دعاءها ورزقها طفلة إثر التجائها الى دير الشهيدة المعظمـــة شوشن ، فانفتح فمها بالتسبيح ، وغـــدت تنشد مـــع حنة ام صموئيل انشودة المجد والبهجة .

فالى رب الشهداء والشهيد الاول ، نقدم سيرة شهدائه الميامين ، لمجده الاعظم ، ولخير الكنيسة وابنائها الكرام . ولاعـــلاء شأن الوطـــن الغالي . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

افرام شاهين

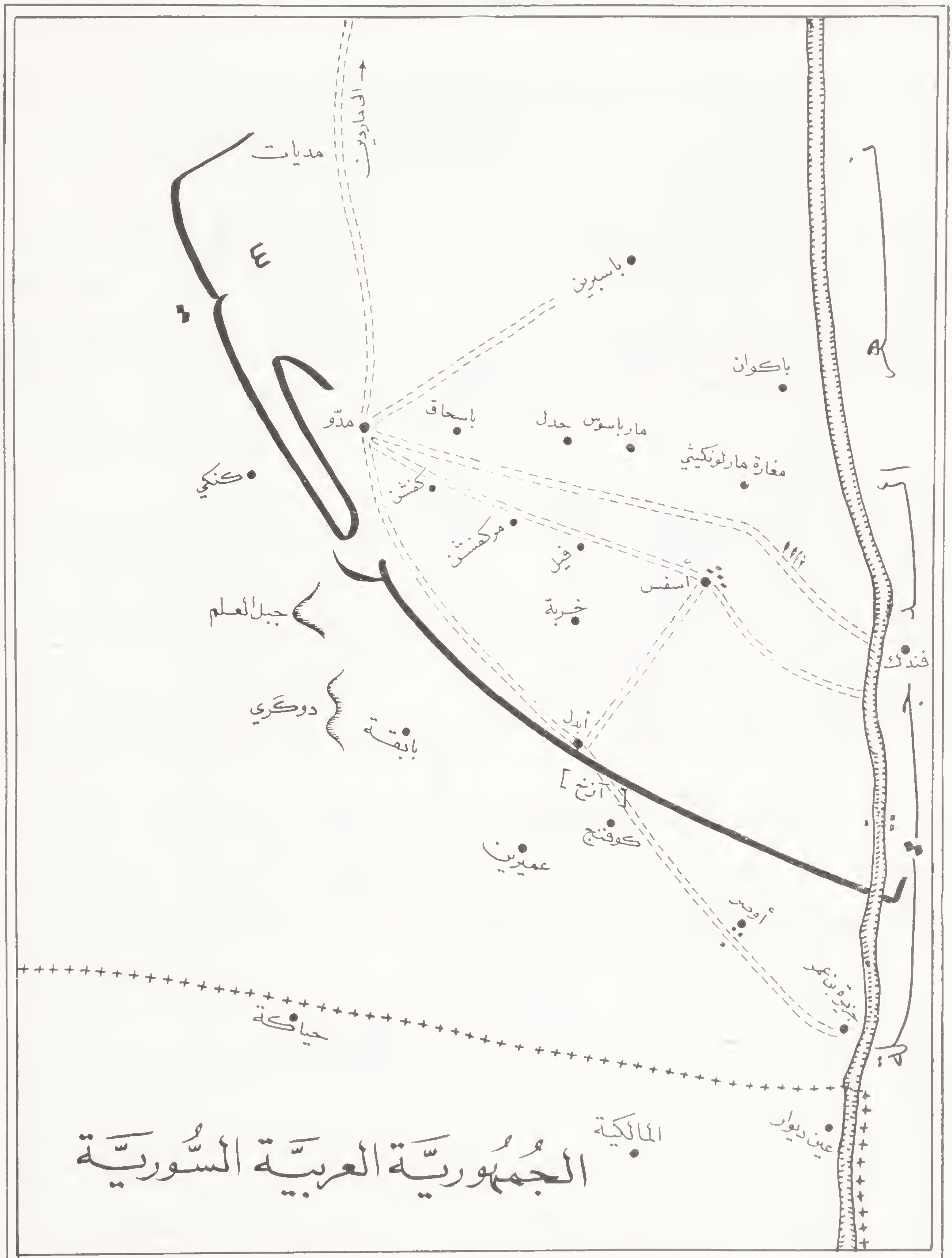

رسم وتخطيط حيدري

الشمال

مخطط منطقة بيت زبدى وقسم من طورعبدين

قصة الشهيد المعظم مار باسوس واخته سوسان

الملك شابور : كان الملك شابور امبراطوراً على العجم . وكان مقره الدائم عاصمة الدولة الفارسية قديماً . وكان له ثلاثة اخوة يساعدونه في الحكم وهم :

١ ـ سنحاريب امير على نينوى وآثور .

٢ ـ ابو زرد امير على فيل وبيت زبدى .

٣ ـ همنسوف امير على نصبين وكفر زمزا الى حدود الدجلة .

وكان الملك شابور مشهوراً بقساوته ، وكان منذ اول امره عدواً لدوداً للمسيحيين . بل لم يشفق حتى على ابنه ووحيده . فانه عند سماعه عنه انه قد صار مسيحياً حقاً مقتبلاً سرّ العماد جرد السيف وقطع رأسه دون رحمة وشفقة . كما اعلن الاضطهاد القاسي على الكنيسة دام اربعين سنة ، سقط خلاله مئة وعشرون الف شهيد وفي آزخ وحدها (بيت زبدى) قتل تسعة آلاف من المسيحيين رجالاً ونساء في يوم واحد . لا ذنب لهم سوى انهم مسيحيون .

ميلاد مار باسوس واخته سوسان

اما اخوه ابوزرد الذي كان اميراً على فيل وبيت زبدى ، والذي كان مركزه الاصلي في قرية فيل ، التابعة حالياً لآزخ (بيت زبدى) «ايدل» وهو الاسم الجديد الذي اطلقه عليها الاتراك بعد ان اصبحت قضاء وكان له مركزاً في آزخ ايضاً . يقال انه كان له مركز في اسفس ايضاً .

ابوزرد هذا حسب عوائد المجوس تزوج من ابنة اخته ورزق منها عام ٣٧٥ م. طفلاً وطفلة توأمين فدعي اسم الصبي باسوس اي زهرة . واسم الفتاة سوسان (شوشن)

وكانت هنالك جالية مسيحية في كل من فيل وبيت زبدى فترعرع الطفلان وشاهدا نفسيهما بين مجموعات من الصبيان المسيحيين ذوي الاسم الحسن فاعجبا من اخلاقهم وسلوكهم ، ومن الاحترام البالغ الذي كانا يلقيانه منهم ، والذي كان له اثره الجميل في قلبيهما .

اسطفانوس الخادم :

وحدث في تلك الاثناء ان الدولة الفارسية اغارت على الدولة الرومانية واتت باعداد كبيرة من الاسرى من بلاد ارزون وما بين النهرين العليا وبهذه المناسبه اقام ابوزرد اصناماً في كل من آزخ وفيل .

وبدأ يرغم الناس على عبادتها .

كما انه اختار صبياً من بين الاسرى الذين عددهم (١١٠٠٠) احد عشر الفاً كان اسمه اسطيفانوس ، جعله خادماً لولديه ، اللذين ادخلها في معهد التعليم في قرية فيل لتلقي تعاليم المجوسية . وفي اوائل عام ٣٨٨ م. غادر ابوزرد بيته متوجهاً الى اخيه الامبراطور شابور في المدائن . وبقي عنده ستة اشهر كاملة .

اما اسطيفانوس الخادم الذي كان من جيل باسوس واخته في الثالثة عشرة من العمر ، كان ابن كاهن سرياني . وعلى حداثته فانه كان مثقفاً ثقافة دينية جيدة . وساعده الروح القدس على القاء بذور الايمان المقدس في قلبي باسوس واخته الاميرة فتجلت لهما الحقيقة الساطعة كنور الشمس . والتهب قلباهما بنار المحبة الالهية فاخذا يكرهان عبادة الاوثان وبدأت نفوسهم تنفر من عوائد المجوسية القذرة .

تفقد المواشي :

وفي احد الايام من ربيع ٣٨٨ م. قالت الوالدة لولدها باسوس . يا ابني ان اباك قد طالت غيبته ، فأريد ان تذهب الى الوادي وتتفقد احوال ماشيتنا وتنظر حالة الغنم والرعيان وتأتي بالخبر . فلبى الصبي باسوس الطلب ، ولكن اخته اللطيفة سوسان اصرّت على الذهاب معه يرافقهما الخادم اسطيفان .

وهكذا انطلق باسوس واخته سوسان يرافقهما الامين اسطيفانوس. خرجا من قرية فيل مقرهما وانحدرا مباشرة في الوادي مشياً على الاقدام هبوطاً حتى اسفل الوادي واجتازا الى الطرف الآخر ، وهناك التقيا برعاتهما الذين هبوا لملاقاتهما فرحين طالبين خدمتهما واسترضاهما . وبعد ان اطمأنا لصحة الرعيان والاغنام ، ارادا ان يتجولا او يقضيا نزهتهما في ذلك اليوم الجميل ، وهما يسرحان في ذلك الوادي الذي اطلق عليه اسم (وادي جهنم) والذي جهزته الطبيعة بالمناظر الخلابة .

مغارة القديس ثم العماد المقدس :

وبينما هما يتجولان في اطراف الوادي ، فجأة وقعت ابصارهما على مغارة في سفح الجبل فاتجها نحوها ، وما ان وصلا اليها حتى أخذتهما الدهشة فتسمّرا في اماكنهما اذ شاهدا انساناً قد استشعر جسمه وصار منظره مرعباً . والذي زاد في حيرتهما ان الشخص دعاهما باسميهما قائلاً : « بنيّ لا تخافا ، فأنا انسان مثلكما ، اوقفت نفسي على عبادة الاله الذي آمنتما به ، حديثاً . اقتربا مني كي اباركـكما فأنا العابد لونجيني » حينئذ تشجعا وسارا اليه باطمئنان . فجلس العابد وجلسا حواليه وعيونهما محدقة اليه . فاخذ يلقي عليهما مواعظه ، ففسّر لهما حقيقة الايمان المقدس مطلعاً اياهما على بطلان الدنيا وغرورها ، وعلى عظمة ثواب الابدية . واخيراً هيأ المعمودية ومنحهما سرّ العماد المقدس . فشعرا وكأنهما قد تقبلا الروح القدس حقيقة واستحالا الى انسانين جديدين لهما عزم الجبابرة والاستعداد العجيب لنشر بشارة الخلاص المجيدة .

عودة الاب :

عاد والدهما ابوزرد من سفرته الطويلة التي دامت ستة اشهر كاملة . وفي عام ٣٨٨ م صيفاً بدأ الاستعداد للاحتفال باحد اعياده المجوسية . ولكنه بدأ يلاحظ النفور والابتعاد الذي كانا بيديه ولداه باسوس وسوسان . قيل انه عذب احد العبيد المسيحيين عن السبب فاخبره بان باسوس واخته سوسان قد تنصرا وصارا مسيحيين .

وعيد الاب لوالديه :

دعى ابوزرد ولديه باسوس وسوسان قائلاً لهما : يا بني ما هذه الاخبار التي اسمع عنكما . وانتما تعلمان جيداً ان اخانا الاكبر (شابور) هـو الامبراطور ونحن كما تريان حكام الدنيا فأريد يا ولدي الحبيبين ان تطيعاني وتقـدما السجود لآلهة آبائنا واجدادنا . وان هذه الدولة هي دولتكما وانتما وارثاها وستكونان في اعلى المناصب الرفيعة منها . وستكونان مطاعين دائماً وكلمتكما هي التي ستكون العليا . ولا تـدعوا ان يسمع بهذا ملك الملوك (شابور) لانه اذا سمع لن يحيده شيء عن غضبه فانه سيبيدني واياكما .

ولكن هذه المواعيـد جميعها لم تؤثر في الصبيين اللذين اعلنا اعترافهما الصريح بالايمان المسيحي شاكرين الله وطالبين من ابيهما ايضاً وجوب اللحـــاق بهما في ترك عبادة الاوثان المخزية واعتناق عبادة الاله الواحد ، الذي هـــو خالـــق السموات والارض وما فيهما .

السجن والرؤيا السماوية :

توجه ابوزرد الى آزخ (بيت زبدى) يرافقه موكبه الخاص وامر ولديه ايضاً ان يكونا في معيته . فكرر عليهما الوعيد والتهديد . ولما نفذ شيئاً نصائحه وانذاراته أمر فسجن الصبيان باسوس واخته في بيت الوثن في آزخ ، وفي هذا السجن وبعد منتصف الايل ، تجلت لباسوس واخته رؤيا سماوية عجيبة . حيث شاهدا نعيم المجـد وسعادة الشهداء والقديسين ، وبؤس وشقاء القتلة الكفرة الهالكين .

وعند الصباح شاهد ابوزرد اوثانه مندكة امام الصبيين القديسين مما آثار حفيظته وأجج غضبه ، فعاد الى فيل مقره يرافقه موكبه وولداه وهما مخفوران .

مذبحة الشهداء الهائلة :

وفي قرية فيل مقره وفي صباح اليوم التالي يأمر الطاغية ابو زرد بقتل الاسرى على مرأى ومشهد من ولديه علهما يخافان فيتراجعان عن قرارهما فجيء بالاسرى الى الذبح خمسين خمسين على مرأى ومشهد من باسوس واخته . وكان عـدد الاسرى

(١١٠٠٠) احد عشر الفاً جميعهم ذبحوا في يوم واحد . ولكن الامر كان على النقض . لان باسوس واخته واسطفان قاموا بتشجيع الشهداء الذين كانوا يساقون كغنم للذبح . فكان باسوس يصرخ قائلاً « : هلموا فلنمت من اجل المسيح الرب ، كما مات هو من اجلنا . » وهكذا فان هذا العمل الانتقامي الوحشي ، زاد باسوس واخته رسوخاً في الايمان وعمّق الحقد القتول في قلب الاب الظالم ابو زرد ، الذي اعاد ولديه الى بيته في قرية فيل ، واوقفهما مع اسطيفان الخادم في غرفة خاصة مخفورة ببعض الحراس .

وتلك كانت الفرصة الاخيرة التي بها رفع الثلاثة صلواتهم الحارة ، اولاً من اجل الشهداء الذين قتلوا من اجلهم وبسببهم ، ثم جثوا على الارض والدموع تسيل من عيونهم سائلين الله الاب باسم ابنه الحبيب الرب يسوع المسيح ، ان يثبت اقدامهم على صخرة الايمان ، ويجعلهم مؤهلين لنيل اكاليل الاستشهاد . والانضمام الى موكب الشهداء الكبير الذي سبقهم الى دار الخلد .

استشهاد مار باسوس واخته الاميرة سوسان واسطيفان خادمهما مع القديس المرشد

في صباح اليوم التالي صدرت الاوامر الى باسوس وسوسان واسطيفان للمثول امام الطاغية في بيت اصنامه (في قرية فيل) فادركوا ان الموت محتّم لذلك فرّ ثلاثتهم مغادرين فيل الى الوادي فاعلم الجنود حاكمهم واميرهم ابو زرد . ويبدو ان اسطيفان كان انطلق بُعيد باسوس واخته بفترة قصيرة .

فامتشق ابو زرد سيفه وانطلق في اثرهم ، وكما جاء في الصلوات الخاصة بالشهيد المعظم مار باسوس : ان اسطفانوس استشهد على يد ابو زرد في اول المنحدر في قرية فيل ثم تابع ابو زرد طريقه وهو يزبد غضباً حتى ادرك ابنته البائسة سوسان وهي مختبئة في حفرة من الصخرة الكبيرة التي في اسفل الوادي ، والمعروفة من جميع اهالي تلك المنطقة . قال احد المؤمنين : ان الحفرة التي في الصخرة هي عبارة عن مخبأ صغير حدث في الصخرة بأمر الخالق واستجابة لاستغاثة سوسان (شوشن) الملهفة . هنالك في ذلك المخبأ الصغير قضى ابو زرد على ابنته دون شفقة ولا رحمة .

اما الامير الصغير باسوس فقد واصل هربه باتجاه مغارة القـديس الذي خرج من المغارة عله يستعطف ابو زرد ليشفق على ابنه . ولكن ابو زرد لم يُمهله ـ بل حز رأسه بضربة سيف واحدة .

اما مار باسوس فعـــلى ما جاء في صلاة الفرض ، انه طلب من الله النجـدة والخلاص ، وبامر الاله القادر على كل شيء انشقت الصخرة تاركة ممراً سلكه باسوس الى اعلى الجبل ، ثم شاهد هنالك راعيين . توجه اليهما واختبأ وراء بعض الصخور التي ترعى حولها الاغنام .

عند المساء جاء ابو زرد واخذ يسأل الراعيين . فانكر احـــدهما قائلاً انه لم يشاهد الصبي مطلقاً فباركه الله هو واغنامه . ولكن الراعي الآخر اجاب بالايجاب ودلّ ابو زرد على المكان المختفي فيه ابنه باسوس فاشهر السيف وتوجه نحوه وفجأة يجد باسوس نفسه امام ابيه الهائج من الغضب .

فقال له ابنه باسوس : لا تقتلني يا بابا ، وتجعل نفسك ابناً للشيطان . آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص . لكن ابو زرد لم يمهله وبـأول ضربة سيف حصـد يدي ابنه باسوس . وبالضربة الثانية حز رأسه . وقد تم ذلك مع غروب الشمس تماماً . وهكذا تحققت الرؤيا التي شاهدها الولدان وادركوا بها ان لا شيء عند الله ارفع درجة من الاستشهاد من اجل اسمه القدوس دفاعاً عن الحـق . دعتهم النعمة الالهية فاستجابوا لها . ونالوا معموديات ثلاث : ا ـ معمـودية المـاء والروح ب ـ معمودية الدموع ج ـ معمودية الدم صارخين مع الرسول بولس : لا شيء يستطيع ان يفصلني عن محبة الله التي بالمسيح يسوع . لا سيف ولا برد ولا جوع الـخ . وصار ذكرهم للبركة والقداسة .

انتقام السماء :

بعد ان انتقم ابو زرد من ولديه هذا الانتقام الصارم الوحشي ، عاد وهو يلهث تعباً ودخل الى قرية فيل مقره ثم توجـه نحو بيت اصنامـه ليرفع شكره الى وثنه الاصم والذي لا يمشي ولا يبصر ولا يتحرك . وضع سيفه جانباً وسجد سجدتـــه

الاخيرة التي لم ينهض بعدها .

وجاء في صلوات الفرض : ان باسوس قبيل استشهاده صلى قائلا :

يارب لا تحسب خطيئة لوالدي ، لان الشيطان قد اعمى قلبه ، لكن الله تعالى اراد ان يجعله عبرة لمن يعتبر . فبينما هو ساجد امام اوثانه . انقضت نارٌ من السماء عليه وعلى هيكل اوثانه الذي في قـــرية فيل ، وعلى هيكل اوثانه الذي في آزخ (بيت زبدى) فاحالتهم جميعـاً رماداً ، الامر الذي ادهش الجميع وجاء في صلوات الفرض ايضاً خطاب موجه الى الملك شابور جاء فيه « : يا ايها الملك شابور ، ان كنت تسأل عن اخيك وعن اوثانه فانك ستجد الجواب في الرماد . فالنار التي تعبدها هي التي انتقمت منه ومجدت الشهداء » .

وحتى يومنا هـذا لا يزال الانخفاض الذي اصاب المكان من جـراء النار التي انزلها تعالى على مسجد ابو زرد ماثـــلاً وظاهراً للعيان في قـرية فيل . وفي الشتاء يمتلىء هذا المنخفض بمياه الامطار ويطلقون عليه حتى اليوم اسم (بير ابو زرد) باللغة الكردية اي بركة ابو زرد .

هذه الضربة تركت حزنها العميق في قلوب الوثنيين الذين في كل من آزخ وفيل وبالمقابل عمّت الفرحة المسيحيين في آزخ وفيل وفي سائر المناطق المجاورة . وبدأت الانوار تتلألأ على ذخائر القديسين . فجاء اهالي قرية حدل واخذوا جثة الشهيد مار باسوس وانشأوا عليه ديراً في قريتهم . وهو يبعد قليلاً عن القرية ولا يزال باقيـــاً الى اليوم . مع انه لم يبق في قرية حدل مسيحي واحد .

وكنيسة الشهيد المعظم مار باسوس تبعد قليلاً عن القرية . وما كانت تعمر تلك الكنيسة لولا الانوار المتلألئة التي شاهدها المؤمنون على جثة الشهيد وكثرة الاشفية التي كان ينالها الملتجئون بايمان الى ذخائره المقدسة .

اما بقية الشهداء اي الشهيدة المعظمـــة سوسان واسطيفانوس والقديس الشهيد العابد فيرجح ان المؤمنين دفنوهم في اماكن خاصـــة خوفاً من الوثنيين . وكانت كنيسة الشهيد المعظم مار باسوس محجاً عظيماً لكافة المصابين بأمراض مختلفة ولا سيما المصابين بأمراض العيون .

لم يُذكر في صلوات الفرض الا اسم القديس مار لونجينوس ويبدو جلياً انه مركب من اسمين لاون جينا . اما في اللغة الكردية فحتى اليوم يدعونه « بيرارش » اي الشيخ الاسود .

ويطلقون على اسم المكان الذي يحتوي على مغارته اسم « ابراهيم الخليل » فيكون اسم القديس الشهيد العابد لاون ابراهيم ، امه جينا ومن المحتمل ان يكون احد العباد الاجانب نزح عن اوطانه وتغرب لكي يكون مجهولاً عن العالم ، ليعرفه المسيح الرب فقط على مثال القديس الشهيد مار فخاس الذي كان يوناني الاصل ، وكان يعبد في الجبل الابيض شرقي آزخ « بيت زبدى » وجاء في احدى مقطوعات صلاة الفرض ما يلي : سمع مار لونجينوس الرب القائل « من لا يبغض اباه وامه واخوانه ، حتى نفسه لا يقدر ان يكون لي تلميذاً » فتبع الرب من كل قلبه ، وطبق هذا القول عملاً . فلك الطوبى يا مار لونجينوس لان الجبال والمغاور وشقوق الارض تمدحك لانها شاهدتك وانت تطوي الايام والليالي بالصيام والصلاة .

والذي يزور مغارة هذا القديس المعظم والشهيد العابد يشاهد اثر السجود في المغارة وبعض المسامير التي كان يستعملها لتعليق ثيابه عليها .

وسقف المغارة يرشح ماء من وسطه فينزل الماء كنبع ضعيف ولكن القديس حفر الارض مكان سقوط الماء من السقف وجعله حوضاً متوسط الحجم .

وفي هذا الحوض اعتمد مار باسوس واخته سوسان . قيل ان سوسان كانت مصابة بداء البرص . وعند التقاء باسوس القديس العابد الذي طلب منه ترك المجوسية وقبول الرب يسوع مخلصنا وفادينا كان جواب باسوس « لي اخت برصاء ان انت شفيتها سأكون مسيحياً » فقال له القديس « اجلبها وأتكل على الله » .

فجاء باسوس بأخته سوسان ومعه خادمه اسطيفانوس وبصلاة القديس نالت الشفاء وهذه القصة قريبة من التصديق . ذلك ان المغارة حتى اليوم يقصدها المصابون بمختلف الامراض الجلدية لا سيما البرص وتقضي العادة ان يأخذ معه المصاب شيئاً من الزوادة

ثم يسير في الطريق دون ان يتكلم مع أحد . ويعطي الزوادة للشخص الذي يصادفه مهما كان دينه او جنسه ، وعند وصوله الى المغارة يطلي جسمه بطـــين البركة ثم يستحم وينال الشفاء الفوري بأذن الله الذي ليس عليه امر عسير .

ثم ان القديس مهّد طريقاً للماء من وسط المغارة حتى اسفـل الوادي وهـذا العمل كله مشقة جسيمة وتعب لا يوصف . ويصب الماء في بركة كبيرة هي خاصـة بالحيوانات المصابة بالامراض الجلدية (راجع الصفحة ٦ موقع المغارة) الى هنا نكتفي من الحديث عن هؤلاء الشهداء الاماجد ، الذين جعلهم الله تعالى سوراً منيعاً لبلادنا العزيزة . نعفنا الله بصلواتهم آمين .

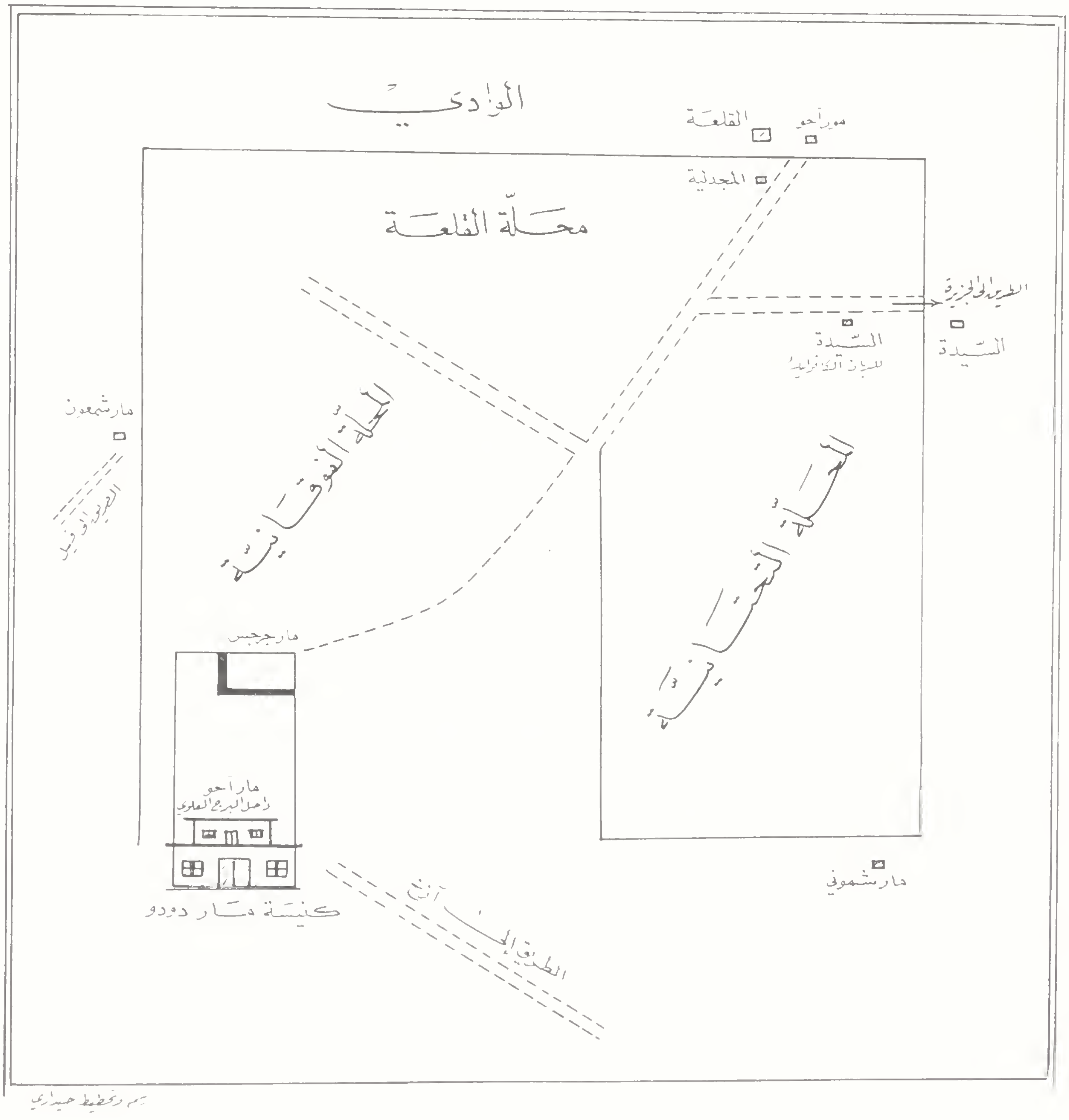

الشمال

مخطّط قريـة أسفس عندما كان يسكنها المسيحيّون

المقدمة

القديسة اشموني ام السبعة ، ومعلمهم اليعازر

جرت حوادث هذه المأساة في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً ومع ان هذه الشهيدة هي من شهداء العهد القديم ، الا ان الكنيسة المقدسة ثبتتها قديسة ، وتحتفل بتذكارها كل عام باعتزاز . وذلك لانها واولادها ومعلمهم اليعازر تركوا مثلاً رائعاً للبطولة والفداء ، واسترخاص النفس في سبيل الحق والواجب . وسيبقى اسمهم مناراً للأجيال القادمة .

والكنيسة المقدسة إذ تحتفل بذكراهم المجيدة ، تحث ابناءها الافاضل على الاقتداء بامثال هؤلاء القديسين ، والتشبه بهم ، ومن ثم بذل النفس رخيصة عندما يدعو الداعي لانجاز الواجب المقدس ، لتبقى كلمة الله هي العليا ، وليكون الوطن المقدس هو المفدّى .

افرام شاهين

قصـــة

القديسة شموني وأولادها السبعة ومعلمهم اليعازر

اولاً : اليعــازر

كان اليعازر احد المتقدمين بين الكتبة ، وقد طعن في السنّ . وكان ذا منظر بهي وقور . ففغروا فمه ليطعموه لحم الخنزير قسواً ولكن آثر ان يموت موتاً مجيداً على أن يحيا حياة دميه . فتقدّم الى العذاب راضياً ونفث الطعام الذي لم يحل له اكله لحبه للحياة ، وتقدم الى العقوبة صابراً . ولكن الذين كانوا حاضرين للقربان وكانت صداقة سابقة بينه وبينهـــم ، اخذوه الى ناحية وجعلوا يحثّونه ان يأمر بأن يؤتى من اللحم الذي يحل اكله مما يهيّأ له ويتظاهر فقط بأنه يأكل من لحم القربان كما امر الملك (انطيوخس) فينجو بذلك من الموت . وينال اللطف بسبب صداقته القديمة لهم . ولكنه تمسّك برأي جميل لائق بسنه ووقار شيخوخته وشيبته الرائعة وبالتربية التي نشأ عليها منذ نعومة اظفاره بل بالسنّة والشريعة الطاهرة التي رسمها الله . فأجاب بصراحة قائلاً : « اني اريد ان استقبل المنيّة عاجلاً اذ لا يليق بعمرنا ان نخــادع . اني اخاف ان يعتقد الشبان بأن أليعازر الذي تجاوز التسعين من عمره انحاز الى سيرة الغرباء فيضلوا بسبب مخادعتي وبسبب قصر الحياة وزوالها ، فأكتسب العار واللعنـــة لشيخوختي . ذلك اني ولو نقلت من هذه الحياة الدنيا بعذاب البشر الاّ اني لـــن افلت من يد الله سبحانه حييتُ ام متُّ . ولذلك فاذا فارقت الحيــاة بشجاعة ظهرت اهلاً للشيخوخة وصرت مثالاً رفيعاً للشباب ليقتدوا بي في استقبــال الميتة الجليلة بجذل وحماسة من اجل الشريعة القدسية الموقرة . »

ولما قال هذا جروه من ساعته الى العذاب . اما الذين ساقـــوه وكانوا سابقاً

مرفقين به ، فاستبدلوا الصداقة بالعداوة بسبب كلامه ، ظناً منهم انه قال ذلك بعجب . ولما قارب ان يموت بالعذاب تنهد وقال : الله اعلم وهـــو صاحب العلم المقدس بأني اذ استطيع ان انجو من الموت ، لكني اضرب وأتكبّد اوجاعاً أليمة في جسدي . وأما في نفسي فأحتمل ذلك صابراً مسروراً من اجل مخافته . وهكذا قضى هذا الرجل نحبه وخلّف بموته مثل عزّة النفس وقدوة الفضيلة ليس للشبان فقـــط بل لكثيرين من الأمة .

القديسة شموني : واولادها السبعة

وحدث ان قبض على سبعة اخوة مع امهـــم وهذه اسماؤهم جاد ومقبي وترسي وحبرون وحمصون مع باكوس ويوناداي وامهم اشموني . واحضروا امام الملك انطوخوس الذي أمرهم ان يأكلوا من اللحم المحرّم لحم الخنزير ، وعذبهم بالجلد القاسي . فشرع جاد وهو اولهم يخطب ويقول : ماذا تلتمس وماذا تريد ان تتعلم ؟ اننا مستعدون ان نموت من ان تداس شريعة آبائنا . فغضب الملك وأمر ان يحمـــوا مقـالي ومراجل نحاسية ، ولما حمّوها امر فبتروا لسان الذي منهم تكلم اولاً ، وسلخوا جلد هـامته وقطعوا اطرافه على مشهد من بقية اخوانه وامهم . وبعد ان شُوّه هكذا أمر الملك ان يدنوه من النار وهو في الرمق الاخير ويقلوه في المقلاة . واذ كان يتصاعد بخار كثير من المقلاة كان هو وأمه يشجع بعضهما بعضاً على الموت بعزيمة وبأس وهما يقولان ان الرب الاله يبصر وهو حتماً يتعزّى بنا كما بيّن موسى في النشيد الذي يتضمّن المحاجة قائلاً : « بعبيده يتعزّى » . ولما قضى الاول على هذه الحال احضروا الثاني . وهو مقبي ليسخروا منه . وسلخوا جلد رأسه مع شعره وسألوه هلا تأكل من قبل ان يتعذب جسمك عضواً عضواً ؟ فأجاب بصوت ابوي وقال كلا . وكذلك فهو ايضاً اذاقوه بقية العذاب كالاول ، ولما كان في النفس الاخير قال : ايهـا الفاجـــر انك تفصلنا من هذه الحيـاة الدنيا ولكن ملك العالمين سيبعثنا الى قيـامة حياة مؤبدة اذا قُتلنا عن شريعته .

وبعد هذا اخذوا يسخرون من الثالث وهو ترساي فدلع لسانه من سـاعته كما امروه وبسط يديه دائباً وقال بشجاعة قد حصلت على هذه الاعضاء من رب السماء .

وها اني اسخو بها من اجل شريعتـه . وأنا آمل ان يردها الي ثانية . فتعجَّب الملك نفسه والذين معه من قوة قلب ذلك الصبي اذ لم يكترث بالعذاب . ولمـــا قضى اتوا بالرابع واسمه حبرون وجعلوا يعذبونه . ولمـــا اشرف على الموت . قال : خليق بالذين ماتوا قتلاً على ايدي الناس ان ينتظروا الآمال التي من الله بأنه تعالى سيعيدهم احياء . ولكن انت لن يكون لك معاد الى الحياة . ثم احضروا الخامس وهو حمصون وطفقوا يؤذونه فشخص الى الملك وقال : انك تفعل ما تشاء اذ لك سلطان بين الناس مع انك ستبلى ولكن لا تظن ان الله تعالى قد تخلى عن جنسنا . فاصبر قليلاً فتبصـــر اسمه العظيم . حيث سيعذبونك انت وذريتك .

وبعد هذا قدّموا السادس ويدعى باكوس . ولما اشرف على الموت قال : لا تضل باطلاً . اننا انما نصـاب بهذه الأشياء لسبب انفسنا اذ اخطأنا الى الله ولذلك اصابتنـا امور توجب التعجب ولا تتوهم انت ستترك سدى أذ قد تصدّيت لمحاربة الله .

اما والدتهم اشموني فقد فاقت شجاعتها كل وصف واستحقت ثناءً وحمداً لأنها اذ رأت أولادها السبعة يبيدون الواحد تلو الآخر في برهـــة قصيرة ، صبرت على ذلك بتجلد ورضى لسبب الرجاء القوي الذي كان لهـا في الرب وكانت تشجعهم واحـــداً واحداً بصوت ابوي وبحكمة خارقة وهي حاملة قلب رجل في نفس انثى ، وتقول لهم لا اعلم كيف نبتم في احشائي ولست انا التي اعطيتـــكم الروح والحياة ولست انا التي ركبت اعضاءكم بل هو فاطر العالم الذي رزق الانسان الولادة وأبدع اصـول الاشياء كلها . وهو برحمته سيعيد اليـكم الروح والحياة كما انـكم الآن تبذلون انفسكم من اجل شريعته .

اما انطيوخوس الملك فتخيل له انه يزرى به ، فاغتاظ من كلام المـــرأة حيث كانت تعذبه . وقبل ان تفيض نفس صغيرهم بدأ يعظمهم بالكلام بل يؤكد لهم بالحلف انه ليغنين من منهم يحيد عن شريعة آبائه ويسعدنه ويتخذنه خليلا ويولينه على الاعمال. فلم يلتفت الولد الى ذلك فاستدعى الملك امه وأشار عليها ان تنصح ولدها بما يؤول الى خلاصه . واذ الح عليها كثيراً ، وعدت ان تنصحه . ثم طأطأت رأسها نحـــوه واستهزأت بقسوة الملك الظالم . وقالت بصوت ابوي يا ابني ارحمني انا التي حملتك تسعة

اشهر في بطني وأرضعتك ثلاث سنين وربيتك حتى وصلت الى هذا العمر . بالله يابني هلا نظرت الى السماء والارض وكل ما فيهما وتفهمت أن الله فطرها من العدم ؟ وكذلك خلق جنس البشر ؟ فلا يفزعك هذا الجلاد لكن كن اهلاً كاخوتك واقبل المــوت لاقبلك برحمتي مع اخوتك . وبينما هي تتكلم بذلك صرخ الصبي يوناداب قائلاً لـــم تنتظرون اني لن اطيع امر الملك لكني اطيع وصية الشريعة التي اعطيها آباؤه على يد موسى ثم التفت الى الملك قائلاً وأما انت ايها الذي اخترع انواع البلايا على اليهود فلن تفلت من يد الله . اننا نصاب لأجل خطايانا . وان كان الهنا الحي قد غضب علينا قليلاً لتوبيخنا وتأديبنا فسيتصالح ايضاً مع عباده . فلا تتعظم وتفخر باطلاً برجاء خائب ايها الفاجر يا اخبث الناس كلهم يبيدك على عباده لأنك لن تفلت من حكم الله القدير الناظر كل شيء . ان اخوتي بما اصابهم الآن من العذاب في هـذه الفترة القصيرة قد حصلوا على اكاليل الاستشهاد واستحقوا ثواب الحيـــاة الأبدية لدى الله . وأما انت فستحتمل بدينونة الله العقاب الذي تستوجبه كبرياؤك . اني مثل اخوتي ابذل جسدي وروحي في سبيل شريعة آبائي وأسأل الله ان يلطف بأمتنا عاجلاً فتعترف انت في حال الأذايا والبلايا بانه هو الاله وحده . ويهدأ فيَّ وفي اخوتي بغضب الله القـــدير الذي انزله بالعدل على امتنا كلها .

فاتّقد الملك عند ذلك غضباً وعظم عليه هـوانه وشـدّد العذاب على هذا اكثر من سائر اخوته .

وهكذا قضى هذا ايضاً نحبه طاهراً متوكلاً على الرب توكلاً جميلاً . وفي آخر الاولاد كلهم قضي على امهم ايضاً .

وهكذا انتهت حياة هذه المرأة الجبارة التي اعطت مثلاً رائعاً للتضحية والفداء .

سيـــرة

القديس مار دودو

و

القديس مار باصوص

والشهيدة مار شمونة